

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: 54)

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بَيَّنَّتِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ أَنَّ الْمُضْطَرِّينَ لَا يَتَّجِهُونَ بِالدُّعَاءِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَهُمْ مِنْ شِدَّةِ تَعَلُّقِهِمْ بِاللَّهِ يَجَازُونَ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، أَي: يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، وَلَكِنَّ الْعَجِيبَ فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الضُّرَّ، يَشْرِكُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِاللَّهِ (1).

وَبِنَاءً عَلَى مَا سَبَقَ: فَقَدْ أَقَامَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى التَّوْحِيدِ، أَوَّلًا: بِالْوَحْيِ، ثُمَّ بِخُضُوعِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ، إِذْ مَا مِنْ شَيْءٍ يَشِدُّ عَنِ النِّظَامِ الَّذِي خَلَقَهُ، ثُمَّ بِكَوْنِ النِّعَمِ كُلِّهَا مِنْهُ، فَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَهَا وَسَخَّرَهَا، وَأَنْعَمَ بِهَا، ثُمَّ بِالِاتِّجَاءِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ عِنْدَ الشَّدَّةِ، لِمَا رُكِبَتْ عَلَيْهِ الْفِطْرَةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَهَكَذَا رَدَّتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ الشَّرْكَ، وَقَطَّعَتْ عُرُوقَهُ وَجَذَوْرَهُ.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿كَشَفَ﴾: أَصْلُ الْكَشْفِ: إِزَالَةُ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ، وَتَعَرِيَّتُهُ مِنْهُ، كَالثَّوْبِ يُسْرَى عَنِ الْبَدَنِ، وَيُقَالُ: كَشَفْتُ الْبَدَنَ أَكْشِفُهُ: إِذَا أَزَلْتِ الثَّوْبَ عَنْهُ (2)، وَالْكَشْفُ: رَفْعُ الْغِطَاءِ وَالْحِجَابِ، يُقَالُ: كَشَفَ الشَّيْءَ، يَكْشِفُهُ، كَشَفًا، وَكَشَفَهُ فَانْكَشَفَ وَتَكَشَفَ: إِذَا رَفَعَ عَنْهُ غِطَاءَهُ وَحِجَابَهُ (3)، وَالْمَقْصُودُ بِالْكَشْفِ فِي الْآيَةِ: إِزَالَةُ مَا هُوَ سَائِرٌ لِشَيْءٍ، وَهُوَ هُنَا مَجَازٌ فِي الرَّفْعِ، وَالْمُرَادُ: إِظْهَارُ رَأْفَةِ اللَّهِ بِالْخَلْقِ (4).

(1) الْقُدُومِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَيَانِيُّ، ص: 109.

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (كَشَفَ).

(3) الزَّائِجُ، الْمَفْرَدَاتِ: (كَشَفَ).

(4) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 14 / 178.

ذِكْرُ حَالِ
الشَّرْكِينَ
بِشْرِكِهِمْ فِي
الرِّخَاءِ، بَعْدَ
ذِكْرِ حَالِهِمْ فِي
الشَّدَائِدِ

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

يقول الحق سبحانه: ثُمَّ إِذَا أزال الله عنكم الشَّدَّةَ، ورفع البلاءَ، إذا جماعة منكم - أيها النَّاسُ - يَجْعَلُونَ لِرَبِّهِمْ شَرِيكًا في عبادته، لِيَكْفُرَ الْمُشْرِكُونَ بما آتَيْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ كَشَفَ الضُّرَّ عَنْهُمْ، فَتَمَتَّعُوا في حياتكم الدُّنْيَا قَلِيلًا - أيها الْمُشْرِكُونَ - فسوف تَعْلَمُونَ عاقبةَ كُفْرِكُمْ⁽¹⁾.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

فائدة حرف التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾ في هذا الموضع:

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ﴾ للترتيب الرُّتَبِيّ، كما هو شأنها في عطف الجُمْلِ، وهي ليست للدلالة على تماذي زمانِ مَسَاسِ الضُّرِّ، ووقوعِ الكشفِ بعدَ بُرْهةٍ مديدة، بل للدلالة على تراخي رُتْبَةٍ ما يترتَّبُ عليه مِنْ مُفَاجَأَةِ الإِشْرَاقِ المدلولِ عليها بقوله سبحانه: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾، فجاء بحرف ﴿ثُمَّ﴾ لأنَّ مضمون الجملة المعطوفة أبعدُ في النَّظَرِ مِنْ مضمون المعطوف عليها، فإنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ الْمُنْعِمِ بِكَشْفِ الضُّرِّ، وإِشْرَاقِ غَيْرِهِ به في العبادة، أعجبُ حالًا، وأبعدُ حُصُولًا مِنَ اللُّجَأِ إِلَيْهِ عند الشَّدَّةِ⁽³⁾، فالفرقُ شاسعٌ بين حالتهم الأولى، وحالتهم الثانية⁽⁴⁾.

❁ دلالة الماضي ﴿كَشَفَ﴾:

المقصودُ بالفعل الماضي ﴿كَشَفَ﴾، إظهارُ رَافَةِ اللَّهِ بِالْخَلْقِ، بِكَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُمْ عند التَّجَافُهِ إِلَيْهِ، مع عِلْمِهِ بأنَّ مَنْ أَوْلَتْكَ مَنْ يُشْرِكُ بِهِ، وَيَسْتَمِرُّ على شركه بعد كَشْفِ الضُّرِّ عنه⁽⁵⁾.

جُحُودُ الْإِنْسَانِ
وَكُفْرَانُهُ بِفَضْلِ
اللَّهِ عَلَيْهِ،
وَمَكْرَهُ بِنِعْمِهِ

الإِعْرَاضُ عَنِ
الْمُنْعِمِ بِكَشْفِ
الضُّرِّ، أَعْجَبُ
مِنَ اللُّجَأِ إِلَيْهِ
عند الشَّدَّةِ

رَافَةُ اللَّهِ بِالْخَلْقِ
بِكَشْفِ الضُّرِّ
عَنْهُمْ، مع عِلْمِهِ
بشركهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 163 / 7.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 120 / 5.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 178 / 14.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 169 / 8.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 178 / 14.

نوع (أل) في لفظ «الضَّرَّ»:

بيان الشمول والاستغراق لكل ما يتضرَّر به مِن فقر، ومرض، وشِدَّة⁽¹⁾ وغيرها، فالضَّرُّ يشملُ كلَّ ما يَتَضَرَّرُ به.

دلالة حرف الجرِّ في شبه الجملة «عَنْكُمْ»:

ذَكَرَ الجَارَّ والمَجْرُورَ «عَنْكُمْ»، مع العِلْمِ بأنَّ السِّيَاقَ يَدُلُّ عليه ولولم يُذَكِّرْ؛ وذلك زيادةً في بيان أنَّ كَشَفَ الضَّرِّ كان لأجلكم أنتم، ولم يكن كَشَفًا عن أحدٍ غيركم⁽²⁾.

دلالة «إِذَا» الفجائية، وفائدتها:

«إِذَا» في قوله تعالى: «إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ» فجائية؛ للدلالة على عَجِيب رَدِّ فعلِ المنْعَمِ عليهم، حيثُ قَبِلُوا الإِنْعَامَ بِالْجُحُودِ⁽³⁾، والإِتْيَانُ بحرفِ المُفَاجَأَةِ، للدلالة على إِسْرَاعِ هذا الفريق بالرجوع إلى الشَّرْكَ، وأنَّه لا يَتَرَيِّثُ إلى أن يَبْعُدَ العَهْدُ بنعمةِ كَشَفِ الضَّرِّ عنه، بحيث يَفْجَؤُونَ بالكفر دُفْعَةً، دون أن يَتَرَقَّبَهُ منهم مَتَرَقَّبٌ، فكأنَّ الفريقَ المعنِيَّ في قوله تعالى: «إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ»، فريقُ المشركين⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بلفظ (الفريق):

(الفريق) هُنا: يُراد به المشركون الذين يرون أنَّ للأصنام أفعالاً، مِن شفاءِ المَرَضَى، وَجَلْبِ النَّفْعِ، وَدَفْعِ الضَّرِّ، فهم إذا شَفاَهُمُ اللهُ، عَظَّمُوا أَصْنَامَهُمْ، وأضافوا ذلك الشِّفاءَ لهم⁽⁵⁾، فبيَّن تعالى أنَّه عند كَشَفِ الضَّرِّ وسلامةِ الأحوال يفترقون، وفريقٌ منهم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضَّرِّ، في أَلَّا يَفْزَعُ إِلَّا إلى الله تعالى، وفريقٌ منهم

بيان أنَّ كَشَفَ
الضَّرِّ كان
لأجلكم، لا
لأحدٍ غيركم

بيان مدى
مُسَارعةِ
الإنسان، في
سوانح الكُفْران

بيان أنَّهم عند
كَشَفِ الضَّرِّ
عنهم، يفترقون
فريقين

(1) السَّعْدِيُّ، تيسير الكريم الرِّحْمَنِ، ص: 513.

(2) القَدَوِيُّ، التَّفْسِيرُ البَيَانِيُّ، ص: 109.

(3) القَدَوِيُّ، التَّفْسِيرُ البَيَانِيُّ، ص: 109.

(4) البِقَاعِيُّ، نظم الدُّرَر: 11 / 180، وابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّوْبِيرُ: 14 / 178.

(5) الثُّعَالِبِيُّ، الجواهر الحسان: 3 / 427.

عند ذلك يتغيَّرون، فيُشركون بالله غيرَه⁽¹⁾، فَالتَّعْبِيرُ بِـ ﴿فَرِيقٌ﴾ يدلُّ على أَنَّ مِنَ الدَّاعِينَ لِلَّهِ مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ⁽²⁾.

دلالة (مِنْ) بين التَّبْعِيضِ والبيان:

بيان أَنَّ المعنى
يختلف باختلاف
كون (مِنْ)
للعُموم أو
للخصوص

كلمة (مِنْ) للتَّبْعِيضِ إن كان الخطابُ عاماً، وإن كان خاصاً بالكفَّارِ فـ (مِنْ) للبيان، كأنَّه قال: فإذا فريق وهم أنتم، ويجوز أن يكون (مِنْ) على هذا أيضاً للتَّبْعِيضِ، على أَنَّ بعضَهم يعتبرون، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: 32]⁽³⁾.

بديع التَّجْريد على حمل الخطابِ للمُشْرِكِينَ:

المبالغة في بيان
حال المُشْرِكِينَ في
الحالين

إن كان الخطابُ خاصاً بالمُشْرِكِينَ، فـ (مِنْ) للبيان على سبيل التَّجْريد، والمعنى: إذا فريقٌ - هم أنتم - يشركون، لأنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ مَنْ يرجع عن شِرْكِهِ إذا شاهدَ ضراً شديداً، كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: 32]، على تقدير أن يُفسَّرَ الاقتصَادُ بالتَّوْحِيدِ⁽⁴⁾، فحينئذٍ تكون (مِنْ) بيانيةً، على سبيل التَّجْريد للمبالغة⁽⁵⁾.

فائدة ذُكِرَ الجارَّ والمجرور ﴿مِنْكُمْ﴾:

الزَّيَادَةُ في
بيان بشاعةِ
فِعْلِهِمْ، أن
أشركوا بِدَلِّ أن
يشكروا

ذُكِرَ الجارَّ والمجرور ﴿مِنْكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ﴾، رغمَ دلالةِ السِّيَاقِ عليه؛ زيادةً في بيان بشاعةِ فِعْلِهِمْ، أن أشركوا بالمنعم عليهم، بدَلِ أن يشكروه⁽⁶⁾.

بلادة تقديم ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ على ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾، قَدَّمَ الجارَّ والمجرور ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ على الفعل ﴿يُشْرِكُونَ﴾؛ لإبراز بشاعةِ الشُّرْكِ، وأنَّه ليس أيَّ شركٍ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 222/20.

(2) القدومي، التفسير البياني، ص: 109.

(3) للظهري، التفسير للظهري: 347/5، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 230/3.

(4) الألوسي، روح اللعاني: 405/7.

(5) القنوني، حاشية القنوني على البيضاوي: 296/11.

(6) القدومي، التفسير البياني، ص: 109.

بل هو شركٌ مع الله ﷻ⁽¹⁾، فمعنى الكلام: التَّعْجِيبُ مِنَ الْإِشْرَاقِ
بَعْدَ النِّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ، وهذا المعنى مَكْرَرٌ فِي الْقُرْآنِ⁽²⁾، والتَّقْدِيمُ
أَيْضًا لِمُرَاعَاةِ رُؤُوسِ الْآيِ⁽³⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْأُلُوهِيَّةِ:

التَّعَرُّضُ لوصفِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَرْبِّهِمْ﴾؛ لِلإِذَاانِ
بِكَمَالِ قُبْحِ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْإِشْرَاقِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ فِي الْكُفْرَانِ⁽⁴⁾،
فَلَمْ يَأْتْ بلفظِ الْجَلَالَةِ (الله)، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ؛
لأنَّ مِنْ مَعَانِي الرَّبِّ الْمُرَبِّي لِعِبَادِهِ بِنِعْمِهِ لِعِبَادِهِ، فَمَا أَشَدَّ بَشَاعَةً مَنْ
يُشْرِكُ بِمَنْ خَلَقَهُ وَرَعَاهُ وَرَزَقَهُ⁽⁵⁾.

إِضَافَةُ الضَّمِيرِ (هَمْ) إِلَى (الرَّبِّ):

أُضِيفَ الضَّمِيرُ (هَمْ) إِلَى لَفْظِ (الرَّبِّ)؛ زِيَادَةً فِي بَيَانِ أَنَّ هَذِهِ
الرُّعَايَةَ مِنَ اللَّهِ مُخْتَصَّةٌ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُ رَبُّهُمْ هُمْ، فَهُوَ رَاعِيهِمْ هَمْ،
وَخَالِقُهُمْ هَمْ، وَمَحْيِيهِمْ هَمْ، وَرَغَمَ ذَلِكَ هَمْ بِذَاتِهِمْ يَشْرِكُونَ بِمَنْ
نِعْمُهُ عَلَيْهِمْ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَحْلَمَهُ وَأَعْظَمَهُ⁽⁶⁾!.

دَلَالَةُ الْمَضَارِعِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ أَي: يَتَجَدَّدُ إِشْرَاكُهُمْ بِهِ تَعَالَى، بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ
سُبْحَانَهُ⁽⁷⁾، وَفِيهِ تَسْجِيلُ الشَّرِكِ عَلَى هَذَا الْفَرِيقِ، وَلِإِنْصَافِ غَيْرِهِ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ،
وَيُؤَظِّبُونَ عَلَى أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ⁽⁸⁾.

التَّعْجِيبُ مِنَ
الْإِشْرَاقِ، بَعْدَ
النِّجَاةِ مِنَ
الْهَلَاكِ، مَعَ
مُرَاعَاةِ الْفَاصِلَةِ

أَبْشَعُ الْكُنُودِ
الشَّرْكَ بِالرَّبِّ،
لِلْعَطْيِ بِلَا
حُدُودٍ

بَيَانُ أَنَّ الرُّعَايَةَ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
مُخْتَصَّةٌ بِهِمْ،
وَالتَّخْصِصُ
تَكْرِيمٌ

بَيَانُ تَجَدُّدِ
شَرْكِ الْمُشْرِكِينَ
وَاسْتِمْرَارِهِ،
وَشُكْرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَاسْتِقْرَارِهِ

(1) الْقُدُومِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَيَانِيُّ، ص: 109.

(2) الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: 10/ 115.

(3) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْمَعَانِي: 7/ 405.

(4) أَبُو الشَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 5/ 120.

(5) الْقُدُومِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَيَانِيُّ، ص: 109.

(6) الْقُدُومِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَيَانِيُّ، ص: 109.

(7) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْمَعَانِي: 7/ 405.

(8) طَنْطَاوِيُّ، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 8/ 169.

بلغة حَذَفِ مُتَعَلَّقِ الْفِعْلِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

قوله تعالى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ أي: بنسبة النِّعْمَةِ إلى غيره، ورؤيتها منه، وكذا بنسبة الضُّرِّ إلى الغير، وإحالة الذَّنْبِ في ذلك عليه، والاستعانة في رَفْعِهِ به⁽¹⁾، أو بإضافة كَشَفِ الضُّرِّ إلى العوائد والأسباب، ولا يُضَيِّفُونَهُ إلى الله ﷻ، فهذا مِنْ جُمْلَةِ شِرْكِهِم الَّذِي كانوا عليه⁽²⁾.

تَوَهَّيْنِ
الشَّرْكَ وَأَهْلِيهِ
وَمُتَعَلِّقَاتِهِ،
مِنْ الْأَلْهَةِ
وَالْمَعْبُودَاتِ
الْبَاطِلَةِ

(1) القاسمي، محاسن التَّأْوِيل: 6 / 379.

(2) الخازن، لباب التَّأْوِيل: 3 / 81.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النَّحْل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النَّحْل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 4-23-768-9948-978
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26: المجلد السادس والعشرون، سورة النَّحْل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 4-23-768-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»